

أفضل كتب الإعلام في القرن العشرين

د. عثمان أبو زيد عثمان*

أحصى مقال في مجلة (الصحافة والإعلام) ربع السنوية التي تصدر من جامعة كولومبيا اثنين وثلاثين كتاباً بوصفها أفضل كتب الإعلام في القرن العشرين.

عندما رأيت عنوان المقال OF SIGNIFICANT JOURNALISM & COMMUNICATION BOOKS

THE TWENTIETH CENTURY تذكرت على الفور أربعة كتب هي: (الرأي العام) للكاتب الأمريكي والتر ليبمان، ثم (أصوات متعددة وعالم واحد) تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، و (دور الإعلام في التنمية الوطنية) لويلبور شرام، و(كيف نفهم وسائل الاتصال) لمارشال ماكلوهان .كتاب ليبمان جاء على رأس القائمة كما توقعت، وفيها أيضاً كتاب

أما كتاب شرام فلم يرد له ذكر، والسبب في اعتقادي أنه اختص بدراسة مشكلات التخلف في الدول النامية، فكان له رواج في غير الولايات المتحدة الأمريكية، وتمت ترجمته إلى اللغة العربية مرتين، إحداهما في القاهرة وأخرى في بيروت.

كتاب (الرأي العام) الذي صدر عام ١٩٢٢م، هو أقدم الموجودة في القائمة من حيث سنة الطبع. ويعد المقال كتاباً رائداً وملهماً لعدد من المؤلفات الأخرى في مجاله.

أما الكتاب الثاني فهو من إنجاز لجنة اختيرت في الأمم المتحدة لكتابة تقرير مفصل عن مشكلات الاتصال في العالم، برئاسة شون ماكبرايد وهو عالم فنلندي حائز على جائزة نوبل للسلام.

فرغت اللجنة من عملها في نهاية السبعينيات، ونشر التقرير بعدد من اللغات العالمية تحت عنوان أصوات متعددة وعالم واحد: الإعلام والمجتمع اليوم وغدا.

تم وضع الكتب في القائمة حسب الترتيب الأبجدي، وكان يستحسن وضعها



وفق الأهمية، إذ اتخذت معايير للجودة النوعية أبرزها انتشار الكتاب في الأوساط العلمية من حيث المرجعية والاستشهاد العلمي وعدد الطباعات والأعداد المباعة من كل طبعة، بالإضافة إلى أصالة الكتاب واستمرار فائدته للأجيال الجديدة التي تدخل إلى المهنة والتخصص.

هذا وقد شارك عدد من أهل التخصص في تسمية الكتب، وبما أن المجال لا يتسع لذكر جميع العناوين، نكتفي بعدد منها، ثم نقوم بالتعليق عليها:

- كل رجال الرئيس، كارل برنشتاين وبوب وودوارد، نيويورك، ١٩٧٤م.

- تحيز الاتصال، هارولد آدمز إينيس، تورنتو، ١٩٥١م.

- تحليل المضمون في العلوم الاجتماعية والإنسانية، أول هولستي، ١٩٦٩م.

- ماهية الأخبار: دراسة في محتوى النشرات الإخبارية المسائية لمحطتي سي بي أس، إن بي سي، ومجلتي نيوزويك وتايم، هربرت جانز، ١٩٧٩م.

- الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر، إيفيريت روجرز، نيويورك، ١٩٦٢م.

- حرية التعبير والصحافة في

التاريخ الأمريكي، ليونارد ليفي، نيويورك، ١٩٨٥.

- خيارات السياسة الأمريكية: دور وسائل الاتصال في ترتيب الأولويات، دونالد شو و ماكسويل ماك كومب، الذي ١٩٧٧.

- صحافة حرة ومسؤولية: تقرير لجنة هتشنز لحرية الصحافة، شيكاغو، مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٤٧م.

- تاريخ المجلات الأمريكية، (خمس مجلدات)، فرانك لوثر موت، نيويورك - لندن.

- تاريخ الصحافة السوداء، آرستيد برايد وكليبت ويلسون، واشنطن، ١٩٩٧م.

- المملكة والقوة، تاريخ صحيفة نيويورك تايمز، قاي تاليز، نيويورك، ١٩٦٩م.

- المعرفة قوة، انتشار المعلومات في فجر التاريخ الأمريكي، نيويورك، ١٩٨٩م.

- صانعو المرأة: تاريخ وتطور الإعلان في الولايات المتحدة الأمريكية، ستيفن فوكس، ١٩٨٤م.

- إرهاب الاستقلال: حرب الصحف على بريطانيا، آرثر شيلزينغر، ١٩٥٨م.

- الصحافة الاستقصائية: استخدام المنهج العلمي في تحرير التحقيقات الصحفية، فيليب مير، بلومنجتون، ١٩٧٣م.

- أطفالنا والتلفزيون، ويلبور شرام و جاك ليل وإدوين باركر، ستانفورد، ١٩٦١م.

يتضح أن الإعلام السياسي استأثر بجانب كبير من اتجاهات النشر الإعلامي طوال القرن العشرين. لننظر إلى كتاب مثل: كل رجال الرئيس، عن فضيحة وواترجيت، أو كتاب (خيار الناس: كيف يفكر الناخب الأمريكي في الحملات الانتخابية) لبول لازارسفيلد وبيرنارد بيرلسون وهازل جوديت،

مما ورد ذكره في القائمة ولم يذكر في العرض السابق.

وكذلك (خارج القانون) لتوماس بيترسون أستاذ الإعلام السياسي في جامعة هارفارد، المتخصص في الإعلام و مؤسسات الحكم. و كتاب الرأي العام نفسه، الذي يعتبر واحداً من كتب الإعلام السياسي، أشار ويلبور شرام إلى المؤلف واصفاً إياه بأنه الصحفي الذي يفكر بعقلية الباحث. وذكر ماكسويل ماكوميز أن كتاب ليبمان هو الذي ألهمه وشركاه بنظرية ترتيب الأجندة.

وهناك كتب في نظريات الاتصال، مثل: كيف نفهم وسائل الاتصال المشار إليه في مطلع هذا المقال، صدر عام ١٩٦٧م، أحدث ضجة عند صدوره لما تضمنه من الآراء والمفردات الغريبة، ومن مفردات الكتاب راجت فكرة القرية الكونية أو القرية الإلكترونية. ومن الكتب المهمة في نظريات الاتصال كتاب شيرون لاوري وملفن ديفلير بعنوان أساسيات البحث الإعلامي. ولعل من الملاحظات العامة في هذه المجموعة أن أغلبها من إنتاج دور النشر الجامعية بإنتاج مشترك، دليلاً على سمة إيجابية هي أداء الأعمال بروح الفريق في الجامعات الأمريكية، وهو أمر نفتقده في جامعاتنا العربية.

ومع ذلك، لا تخلو القائمة من أسماء خارج النطاق الأكاديمي من الصحفيين وغيرهم، وعلى سبيل المثال الصحفية كاي ميللز صاحبة كتاب (مكان في الأخبار: من الصفحات النسائية إلى الصفحات الأولى)، صاحبة خمس كتب أخرى، برزت أولاً بنشاطها في الحركة النسائية.

ومن الأسماء غير الجامعية ديفيد هالبرستام الذي اشتهر من خلال مراسلاته أثناء الحرب الفيتنامية، ثم اشتهر بريقه بسبب مؤلفاته في المجال الرياضي. وغير خاف أن أغلب الكتاب والعلماء إنما يكتبون شهرتهم خارج مهنتهم.

وربما بقي العالم مغموراً خامل الذكر إلى أن ينشط في السياسة أو يظهر في الحياة العامة ناشطاً في أي مجال من المجالات فيبرز نجمه بعد أفول .

هناك جانب من هذه المؤلفات أظهر عناية بتاريخ وسائل الاتصال و تطورها، مثل (تاريخ ومسيرة صحيفة نيويورك تايمز) بحسبان أن الصحيفة تمثل التاريخ السياسي والاجتماعي لمدينة نيويورك أهم المدن الأمريكية.

ومن ناحية أخرى فإن القارئ الأمريكي يبدو مكتفياً ذاتياً بما عنده من الإنتاج الفكري، إذ لا تظهر القائمة سوى كتابين فقط من خارج الولايات المتحدة، هما كتاب أصوات متعددة لليونسكو، وكتاب هارولد إينيس الكندي الجنسية عن التحيز الإعلامي. ولا عجب في ذلك فالأمريكيون معتدون بأنفسهم جداً في الثقافة، وبوجه خاص في المجال الإعلامي حيث إنهم يجهلون كل شيء غير أمريكي، وفي ذلك قولهم المأثور:

الفودكا روسية والميديا أمريكية! ولأحدهم كتاب بهذا المعنى عنوانه MEDIA THE AMERI ARE. ويمكن ترجمتها (وسائل الإعلام أصلها أمريكي).

دعني أتساءل في الختام: ترى لو أن لدينا ممارسة لتقييم وتحليل الكتب الإعلامية باللغة العربية في القرن العشرين، ماذا تكون النتيجة؟

لا شك أن عملاً كهذا سيكون مفيداً جداً، ولعلني أدعو باحثاً رقيقاً يتولى هذه المهمة، أو يقوم بها قسم من أقسام الدراسات الإعلامية في الجامعات العربية.

وأستطيع أن أتوقع منذ الآن أن جل القائمة العربية ستكون كتباً مترجمة من اللغة الإنجليزية.

* رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة